Journal of Al-Farahidi's Arts, No: 65:p(I I): 303-324
Doi: https://doi.org/10.25130/jfa.18.65.2.16

P-ISSN : 2074-9554 | E-ISSN: 2663-811
Journal of Al-Farahidi's Arts
available online at : fja.tu.edu.iq/index.php/fja

Enallage Grammatical Time in the Holy Quran: A Semantic Study

Dr. Maha Mohamed Ahmed
Zainab Abdul Basit Sharif
E-Mail: maha.mohammed@uomosul.edu.iq

Keywords:
Shift, Shift in Time
Article history:

Received	2/1/2026
Received in revised form	27/1/2026
Accepted	27/1/2026
Available online	30/6/2026

E-mail Jaa@ tu.edu.iq

©THIS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CCBY LICENSE
http:// creativecommons.org/licenses/by/4.0

A B S T R A C T

Language describes events associated with time using specific temporal forms. The discourse then shifts from this expected timeframe to a different grammatical tense. The Holy Quran employs this technique in several places and with varying grammatical tenses to engage the reader, renew their interest, and prevent boredom and weariness. This also serves aesthetic purposes, adding beauty, variety, and appeal to the discourse, drawing the reader in with attentive listening, awareness, and enjoyment. Furthermore, the text may shift to another tense for the purpose of persuasion and influence, depending on the context and the context of the discourse. For example, expressing future events in the past tense emphasizes their occurrence and portrays them as inevitable, thus influencing the reader and leading them to a particular belief or action..

الالتفاتُ في الزمنِ النحويّ في القرآنِ الكريمِ/ دراسة دلالية

م. د.مهى محمد أحمد – زينب عبد الباسط شريف / جامعة الموصل /كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

المستخلص:

الفعل هو الصيغة الرابطة بين الحدث والزمن ، وتُعبر اللغة عن الأحداث المقترنة بالزمن بصيغ معينة ثم يلتفت الخطاب عن هذا الزمن المتوقع من السياق إلى زمن نحوي آخر مختلف عن الأول، وقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب في مواضع عدّة وبأزمنة نحوية مختلفة جذباً للمتلقي وتجديداً لنشاطه وصيانته من الملل والضجر، فضلاً عن الأسباب الجمالية التي تضفي على الخطاب جمالاً وتنوعاً وحُسناً يشد القارئ إليه بالإصغاء والمتعة، وقد يلتفت النص لغرض الإقناع والتأثير في المتلقي من خلال التعبير عن الزمن بصيغة معينة ثم الالتفات إلى زمن آخر بحسب ما تقتضيه الأحوال ومقامات الكلام كالتعبير عن الأحداث المستقبلية بزمن الفعل الماضي تأكيداً لحصولها وتصويرها على أنها واقعة ولا بد للتأثير على المتلقي، وحمله على اعتقاد معين او فعل شيء ما.

الكلمات المفتاحية : الالتفات، الالتفات في الزمن.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، ذي الفضل الكريم، هدانا الصراط المستقيم، وعلمنا اللسان القويم، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة.

والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، المؤتى جوامع الكلم، نبينا محمد (ﷺ).

أما بعد:

فإن القرآن الكريم أهم ما تُقضى فيه الأعمار، وتُعمل فيه العقول، وتتدبر فيه القلوب، ولذا أنزله الله (ﷻ):﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ (ص: ٢٩) من هنا كانت أهمية الدراسات التي تتعلق بالقرآن الكريم، ومن أهمها الدراسات اللغوية، وعلى رأسها التي تُعنى بالدلالة، وبفضل الله وحده جاء عنوان البحث **(الالتفات في الزمن النحوي في القرآن الكريم/ دراسة دلالية)**.

وقد وقع البحث في ثلاثة مباحث:

أولها: الالتفات من الماضي إلى المضارع.

ثانيها: الالتفات من المضارع إلى الماضي.

والثالث: الالتفات من فعل الأمر وإليه.

يقدّم لهذه المباحث تمهيد يتناول تعريفاً بمصطلح الالتفات في اللغة والاصطلاح وذكراً لشروطه.

وأخيراً جاءت الخاتمة ملخّصةً أبرز ما في البحث من نتائج.

وقد تنوعت مصادر البحث بين كتب اللغة وإعراب القرآن والتفاسير، التي كان في مقدمتها كتاب المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي (ت 542 ه)، وكتاب البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (ت 745ه)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (ت 1393ه).

التمهيد

تعريف بالالتفات

الالتفات لغة:

لفت وجهه عن القوم صرفه، والتفت التفاتاً، والتفت أكثر منه. وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه، ولفته يلفته لفتاً: لواه إلى غير جهته، ولفته عن الشيء يلفته لفتاً: صرفه. واللفت: لي الشيء عن جهته كما تقبض على عنق إنسان فتلفته، ولفت فلاناً عن رأيه أي:

صرفه عنه، ومنه الالتفات ولفت الشيء، وفتلُه إذا لواه: وهذا مقلوب. يقال: فلان لفت الكلام لفتاً: أي يرسله ولا يبالي كيف جاء (ابن منظور، 1414هـ، ج2، ص84).

وسُمّي الالتفات بذلك لأن حقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كالانتقال من خطاب حاضرٍ إلى غائب أو من خطاب غائب إلى حاضر (ابن الاثير، 2000م، ج2، ص3).

قال الجوهري (393ه): "اللفت الليّ ... ولفت وجهه عني أي صرفه ولفته عن رأيه: صرفه"، (1407هـ، ج1، 264).

وقال الزمخشري (538ه): "وأصل اللفت ليّ الشيء عن الطريق المستقيمة" (الفائق، د.ت، ج2، 21).

وقال الفيروز–آبادي (817ه): "لفته يلفته: لواه وصرفه عن رأيه، ومنه الالتفات والتلفت" (2005م، ص159).

وقد ورد الالتفات في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، لم يخرج فيها عن معناه اللغوي الذي تقدم ذكره ألا وهو: الصرف من جهة إلى أخرى، والمواضع هي في قوله تعالى:

1. ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (يونس: ٧٨)

2. ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ ﴾ (هود: ٨١)

3. ﴿ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الحِجر: ٦٤–٦٥)

الالتفات اصطلاحاً:

لم يبدأ الالتفات مصطلحاً مستقراً بل بدأ أول ما بدأ ظاهرة تنبه إليها اللغويون فأشاروا إليها وكان من أوائلهم أبو عبيدة (ت 209ه) ونلاحظ أن أبا عبيدة لم يضع تعريفاً للالتفات، وكان يسميه التحويل أو الرجوع (1381هـ، ج1، ص11، خليفات، د.ت، ص6).

وكذا الفراء (ت 207ه) أشار لهذه الظاهرة وذكر أمثلة أبي عبيدة وزاد عليها الكثير من الآيات (د.ت، ج1، ص154، ص195، ج3، ص211)، لكنه مثل سابقه لم يذكر تعريفاً محدداً له.

وعرض ابن قتيبة (ت 286ه) للالتفات وأدخله في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، إذ قال: "ومنه أن تخاطب الشاهد بشيء، ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب" (د.ت، ص177)، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الروم: ٣٩)

وهكذا تتوالى جهود اللغويين إلى أن يستقر المصطلح فيعرّفه الجرجاني بأنّه: "العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم، أو على العكس" (1403هـ، ص35).

ومن المحدثين الدكتور أحمد مطلوب، عرّفه قائلاً: هو "التعبير عن معنى بطريقة من الطرق الثلاث التي هي: التكلم والخطاب والغيبة، بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق آخر من الطرق الثلاث بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع" (1403هـ، ج1، 294).

وقال عنه عبدالعزيز عتيق: "وهو انتقال الكلام من صيغة إلى أخرى كالانتقال من الخطاب إلى الحاضر أو إلى الغائب، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل" (د.ت، ص126)، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾ (مريم: ٨٨-٨٩)

الالتفات في الزمن:

أما الالتفات في الزمن: فقد عد السيوطي ممّا يدخل في الالتفات أيضاً الانتقال من الماضي أو المضارع أو الأمر إلى آخر منها، ويكون بين جملتين.

1. من الماضي إلى المضارع، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (الحج: ٢٥)
2. من الماضي إلى الأمر، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٩)
3. من المضارع إلى الماضي، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾ (النمل: ٨٧)

4.من المضارع إلى الأمر، قال تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤﴾ (هود: ٥٤)

5.من الأمر إلى الماضي، قال تعال: ﴿﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ (البقرة: ١٢٥)

6.من الأمر إلى المضارع، قال تعالى : ﴿﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٢﴾﴾ (الأنعام: ٧٢) (1394هـ، ج3، 295، التهانوي، 1996م، ج1، ص353).

وشرطه: أن يكون التعبير الثاني خلاف مقتضى الظاهر (الصبان، 1417هـ، ج2، 12).

المبحث الأول

الالتفات من الماضي إلى المضارع

نجد أحياناً تراكيب في اللغة تعبر عن أحداث الماضي بصيغة المضارع المجرد استحضاراً لصورة الحدث لجعله ماثلاً أمام عين المخاطب، وإذا أُريد معرفة السبب في مثل هذه التعبيرات وجدنا أنّ هذه الصيغة –أي الفعل المضارع– ارتبطت بالأحداث الواقعة أمام عين المخاطب لكثرة دلالتها على الحال واستحضار هذه الصورة، وتكون في صيغة (يفعل) من دون غيرها، وقد تؤدي هذه الصيغة دلالة أخرى هي دلالة الاستمرار التجددي غير المحدد بزمن معين، ولذا فإن صيغة (يفعل) هي الأوسع دلالة في العربية من كل صيغة أخرى (صدام، 1997م، ص132).

قال ابن هشام: "إنهم يعبرون عن الماضي والآتي حتى كأنه مشاهد حالة الإخبار" (الانصاري، 1997م، ج2، ص690). ومقصود ابن هشام أن الفعل المضارع عندما يُعبر به عن حدث ماضٍ فهو حكاية حال ماضية.

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة التفت فيها التعبير القرآني من الماضي إلى المضارع؛ استجابة لمقتضى الخطاب، ولأهمية الأحداث المعبَّر بها في هذه الصيغة.

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (البقرة: ٨٧)

وردت هذه: في معرض الحديث عن بعض صفات بني إسرائيل، إذ قال لهم الله (ﷻ) موبخاً إياهم: ﴿﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (البقرة: ٨٧)، وحصل الالتفات في قوله تعالى: ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (البقرة: ٨٧)، التفت من الماضي إلى المضارع والسياق يقتضي ذكر الماضي لا المضارع (ابن عاشور، 1984م، ج1، ص592)، والمتوقع أن يقول :فريقًا كذبتم وفريقًا قتلتم ، ثم عدل الخطاب إلى الفعل المضارع لأسباب ، وقد ذكر المفسرون (الزمخشري، 1407هـ، ج1، ص161، الرازي، 1420هـ، ج3 ص594، أبو حيان، ج1، ص476–479)، لهذا الالتفات دلالات وغايات وأسبابًا يرجع أكثرها إلى النقاط الآتية:

1. أن تراد الحالة الماضية، لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره بين النفوس وتصويره في القلوب (ابن عاشور، 1884م، ج1، ص592).
2. فيه مناسبة رؤوس الآي التي هي فواصل (ابن عاشور، 1984م، ج1، ص594)، فاكتمل بذلك بلاغة المعنى وحسن النظم.
3. لكونه مستقبلاً، لأنهم يرومون قتل رسول الله (ﷺ) ولذلك سحروه وسمموه، وقال (ﷺ) عند موته: "ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري" (الألباني،د.ت،رقم الحديث 5629،ج2،984)،(السمين الحلبي، د.ت، ج1، 500).
4. تنبيه على أن عاداتهم قتل أنبيائهم، لأن هذا النبي مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، وقد أمروا بالإيمان به والنصرة له ، فكيف من لم يكن فيه تقدم عهد من الله؟ فقتله عندهم أولى (أبو حيان، 1420هـ، ج1، ص483).

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ (البقرة: ٢١٢)

زين للذين كفروا حب الحياة الدنيا العاجلة اللذات فهم يبتغون فيها المكاثرة والمناظرة ويطلبون فيها الرياسات والمباهاة، ويسخرون ممن تبعك من أهل الإيمان (الطبري، 1384هـ، 242، ص274)، والفعل مبني للمجهول ، للتركيز على حال الكافرين ،والمزيّن هو الشيطان، زين لهم الدنيا وحسّنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها، ويجوز أن يكون اللهُ قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها، أو جعل إمهال المزين له تزييناً (الزمخشري، 1407هـ،ج1، ص421).

وموضع الالتفات هنا في قوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ ﴾، بصيغة المضارع بدل الماضي (السمين الحلبي، د.ت، ج2، ص372)، إذ هو المتوقع ليتوافق مع ما قبله من اللفظ الماضي الذي في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ﴾، وجيء (التزين) بصيغة الماضي و(السخرية) بصيغة المضارع للدلالة على أنّ معنى فعل التزين أمر مستقر فيهم: لأن الماضي يدل على التحقق، وأن معنى ﴿ وَيَسْخَرُونَ ﴾ متكرر متجدد منهم، لأن المضارع يفيد التجدد، ويعلم السامع ما هو محقق بين الفعلين و هو أيضاً مستمر، لأن الشيء الراسخ في النفس لا تفتر عن تكريره، ويعلم أن ما كان مستمراً وهو أيضاً محقق، لأن الفعل لا يستمر إلّا وقد تمكن من نفس فاعله وسكنت إليه، فانما اختار لفعل التزيين الفعل الماضي ولفعل السخرية الفعل المضارع ايثارًا لكل من الصفتين بالفعل التي هي أجدر به . (ابن عاشور، 1984م، ج2، ص297).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ (هود: ٧٤) وردت هذه: الكريمة في سياق الحديث عن إبراهيم (عليه السلام) حين جاءته الملائكة وبشرته بالولد، ثم بعد أن جاءته البشرى واطمأن قلبه بعد الخوف ومُلئ سروراً فرغ للمجادلة (ابن عاشور، 1984م، ج2، ص297)، والمجادلة هنا: دعاء ومناجاة سأل بها إبراهيم (عليه السلام) ربه العفو عن قوم لوط خشية إهلاك المؤمنين منهم، وقد تكون المجادلة مع الملائكة، وعُدّيَت إلى ضمير الجلالة لأن المقصود من جدال الملائكة التعرض إلى الله بصرف العذاب عن قوم لوط (ابن عاشور، 1984م، ج13، 123/3).

والالتفات هنا في ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ ، بصيغة المضارع بدلاً من الماضي، وقوله ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾: كلامٌ مستـــــأنفٌ دال على الجواب: وتقديره: اجترأ على خطابنا، أو مضى لمجادلتنا، أو قال: كيت وكيت، وقيل في ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾: هو جواب ﴿لَمَّا﴾ وإنما جيء به مضارعاً لحكاية الحال وقيل إن ﴿لَمَّا﴾ ترد المضارع إلى معنى الماضي، كما ترد إن: الماضي إلى معنى الاستقبال، وقيل: معناه: أخذ يجادلنا (الزمخشري، 1407هـــ، ج3، ص218). عبر النص القرآني الكريم عن حالة الاستقرار بعد الخوف والخشية باستعمال الفعل الماضي ثم انتقل إلى الفعل المضارع (يجادلنا) الذي يصف الاستمرارية في المجادلة شفقة على قوم لوط حيث ناسب زمن الفعل الحالة الشعورية والانفعالية وجسد الموقف كأنه صورة ماثلة امام القارئ.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الحج: ٢٥)

ابتدأ (ﷻ) القول بذكر الكافرين، مؤكداً كفرهم بـــ﴿إِنَّ﴾؛ الدالة على التأكيد؛ وقد ذكر الموصول لبيان أن الصلة هي سبب هذا الجزاء؛ والصلة فيها أمور ثلاثة تستدعي الاستنكار والعذاب الشديد (أبو حيان، 1420هـــ، ج6، ص363).

الأمر الأول: الكفر وكفر أهل مكة هو الإشراك باللّه (ﷻ) بعبادة الأوثان.

الأمر الثاني: الصد عن سبيل الله (ﷻ) بإيذاء المؤمنين؛ ومحاربتهم؛ ودعوة العرب إلى عدم الإيمان باللّه وبرسوله (أبي زهرة، د.ت، ج9، 4987).

الأمر الثالث: بصدهم عن المسجد الحرام؛ ومنعهم من أداء المؤمنين الحج فيه.

وموضع الالتفات في هذه: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾، التفت من الماضي إلى المضارع والسياق يقتضي ذكر الماضي؛ وجاء يصدون بصيغة المضارع للدلالة على إرادة المعنى الماضي والمضارع ايضاً فقد كفروا فيما مضى وهم الان يصدون عن سبيل الله مع الاستمرار في كفرهم (الطبراني، 2008م، ج9، ص4987)، وأنه دأبهم سواء في أهل مكة وفي غيرها؛ لأن البقية ظاهروهم على ذلك الصد ووافقوهم.

أما صيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فلإن ذلك الفعل صار كاللقب لهم مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (الحج: ٢٣) ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ : الإسلام، فبصدهم عنه استحقوا عذاب النار، كما حقق اهتداء المؤمنين إليه لهم

نعيم الجنة (ابن عاشور، 1984م، ج18، ص237)، والمضارع قد يلاحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال فيدل إذ ذاك على الاستمرار (أبو حيان، 1420هـ، ج6، ص364)، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ (الرعد: ٢٨)، وقيل هو مضارعٌ أريد به الماضي عطفاً على ﴿كَفَرُواْ﴾، وقيل: هو على إضمار مبتدأ أي وهم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ وخبر ﴿إِنَّ﴾ محذوف ، وقيل: الواو في ﴿وَيَصُدُّونَ﴾، زائدة وهو خبر ﴿إِنَّ﴾ تقديره (إن الذين كفروا يصدون)، قال ابن عطية: وهذا مفيد للمعنى (أبو حيان، 1420هـ، ج6، ص364).

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ٦٣﴾ (الحج: ٦٣)

وهذه:دليل على قدرة الله (ﷻ) وعظيم سلطانه فإنه يرسل الرياح فتثير سحاباً، فيمطر على الأرض اليابسة التي لا نبات فيها لتصبح مخضرة وتدب الحياة فيها.

وجاء الالتفات في قوله تعالى: ﴿ فَتُصۡبِحُ ﴾، بصيغة المضارع الدال على الاستقبال والسياق يقتضي مجيئها بالماضي، وذلك للدلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان كما قال الزمخشري: "فإن قلت: هلا قيل: فأصبحت؟ ولِمَ صَرف إلى المضارع؟ قلت: لنكتة فيه، وهي إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، كما تقول: أنعم عليّ فلان عام كذا، فأروح وأغدوا شاكراً له، ولو قلت: فرحت وغدوت؛ لم يقع ذلك الموقع، فإن قلت: فما له رفع لم ينصب جواباً للاستفهام؟ قلت: لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض، لأن معناه إثبات الاخضرار، فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار، مثاله أن تقول لصاحبك: ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر: إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه، وإن رفعته فأنت مثبت للشكر" (الزمخشري، 1407هـ، ج4، ص209، أبو حيان، 1420هـ، ج7، ص517).

"وصفة الاستقبال لاستحضار صورة الاخضرار مع الإشعار بتجدد الإنزال واستمراره، وهذا المعنى لا يحصل إلّا بالمستقبل، والرفع هنا متعين لأنه لو نصبت لانعكس المعنى المقصود من: فينقلب إلى نفي الاخضرار والمقصود إثباته" (الشوكاني، 1414هـ، ج3، ص466).

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ ﴾ (فاطر: ٩) ، هذه آية احتجاج على الكفرة في إنكار البعث من القبور، فدلهم (ﷻ) على المثال الذي يعاينونه وهو سواء مع إحياء الموتى﴿بَلَدٖ مَّيِّتٖ ﴾ هو الذي لا نبت فيه، قد اغبر من القحط، فإذا أصابه الماء من السحاب اخضر وأنبت، فتلك حياتُهُ، و ﴿ٱلنُّشُورُ﴾ مصدر: نشر الميت إذا حَيِيّ (ابن عطية، 1422هـ، ج7، ص205).

وجاء الالتفات في قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ ، إذ التفت من الماضي إلى المضارع، جاءت ﴿فَتُثِيرُ﴾ على المضارعة دون ما قبله، وما بعدهُ، ليحكي الحال التي تقع فيها إشارة السحاب، وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القُدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية، بحال تستغرب، أو تم المخاطب أو غير ذلك (الزمخشري، 1407هـ، ج5، ص143).

وقيل جاءت ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ﴾ بلفظ الماضي و ﴿ فَتُثِيرُ سَحَابٗا ﴾ بصيغة المضارع لأنه لمّا أسند فعل الإرسال إلى الله (ﷻ) وما يفعل الله (ﷻ) يكون بقوله كُن، فلا يبقى في العدم لا زماناً ولا جزءاً من الزمان، فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كأنه كان، وكأنه فرغ من كل شيء، فهو قدر الإرسال في الأوقات المعلومة إلى المواضع المعنية، والتقدير كالإرسال، ولما أسند فعل الإشارة إلى الريح وهو يؤلف في زمانٍ فقال: ﴿فَتُثِيرُ﴾ أي على هيئتها (الرازي، 1420هـ، ج26، ص8). ويجوز أن يكون اختلافُ الأفعال للدلالة على استمرار الأمر (البيضاوي، 1418هـ، ج24، ص225).

الموضع السابع: قوله تعالى﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١ ﴾ (النحل: ١) موضع الالتفات في قوله تعالى ﴿أَتَىٰٓ﴾ وهو بمعنى (يأتي) وذلك لصدق إتيان الأمر وتنبيهاً على تحقق وقوعه، وذهب آخرون إلى أن ﴿أَتَىٰٓ ﴾باقٍ على معناه وهو المضي، والمعنى: أتى أمر الله وعداً فلا تستعجلوه وقوعاً، وغير ذلك مما سنعرضه.

قال النحاس: "قوله ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ (النحل: ١) ، قال بعضهم: ﴿أَتَىٰٓ﴾ بمعنى (يأتي)، لأنه قد عُرف المعنى فصار مثل قولك إن أكرمتني أكرمتك، وقيل: إخبار الله (ﷻ) بالماضي والمستقبل شيء واحد لأنه قد علم أنه يكون فهو بمنزلة ما قد كان، وقول ثالث وهو أحسنها: وذلك أنهم استبعدوا ما وعدهم الله (ﷻ) مع العقاب فأخبرَ الله (ﷻ) أن ذلك قريب فقال تعالى:

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ أي هو القرب بمنزلة ما قد أتى كما في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ (القمر: ١) ، وكما يقال: أتاك الخبر، أي: قَرُب منك" (النحاس، 1409هـ، ج4، ص50).

"وذكر ابن الجوزي ثلاثة أقوال من دون أن يرجح أو يستحسن أحدها: إذ قال: وفي قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ﴾ بمعنى (يأتي)، كما يقال: أتاك الخبر فأبشر، أي: سيأتيك. قال ابن قتيبة وشاهده قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ (الأعراف: ٤٤) ، وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ (المائدة: ١١٦) ، ونحو ذلك. الثاني: ﴿أَتَىٰٓ﴾ بمعنى قرب، قال الزجاج: أعلمَ الله (ﷻ) أن ذلك في قربه بمنزلة ما قد أتى. الثالث: ﴿أَتَىٰٓ﴾ للماضي والمعنى، أتى بعض عذاب الله وهو إتيان الأمر وأنه واقع لا محالة، إذ قال: قوله تعالى﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ (النحل: ١) هو بمعنى: يأتي أمر الله، وحسن لفظ الماضي في موضع المستقبل لصدق إتيان الأمر فصار في أنه لا بد أن يأتي بمنزلة ما قد مضى وكان، فَحَسُن الإخبار عنه بالماضي، وأكثر ما يكون هذا فيما يخبرنا الله (ﷻ) به أنه يكون فلصحة وقوعه وصدق المخبر به صار كأنه شيء قد كان" (الجوزي، 1422هـ، ج4، ص472، الزمخشري، 107هـ ج2، ص400).

"وذكر الرازي وجهين للآية الكريمة، الوجه الأول: أنه وإن لم يأتِ ذلك العذاب إلا أنه كان واجب الوقوع، والشيء إذا كان بهذه الحالة والصفة فإنه يقال في الكلام المعتاد: أنه أتى ووقع إجراءً لما يجب وقوعه بعد ذلك مجرى الواقع، يقال لمن طلب الإغاثة وقرب حصولها: قد جاءك الغوث فلا تجزع".

والوجه الثاني: وهو أن يقال: إن أمر الله (ﷻ) بذلك وحكمه به قد أتى وحصل ووقع، فأما المحكوم به فإنما لم يقع لأنه (ﷻ) حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج إلى الوجود، والحاصل كأنه قيل: أمر الله (ﷻ) وحكمه بنزول العذاب قد حصل ووجد من الأزل إلى الأبد، فصح قولنا: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ (النحل: ١) ، إلّا أن المحكوم به المأمور إنما لم يحصل لأنه خصص حصوله في وقت معين فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت" (الرازي، 1420هـ ج19، ص169، الجوزي، 1405هـ، ج1، ص37).

المبحث الثاني

الالتفات من المضارع إلى الماضي

يعد هذا المبحث من المباحث البديعة من أقسام الالتفات لما يمتلكه من خصوصية في حيوية الأسلوب ودقة لأدائه للوظيفة المعنوية، وهو في الوقت نفسه ظاهرة تركيبية تعبر عن معنى مستقبلي بفعل ماضٍ، أي هو للدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يكن قد وقع بعد.

والأمثلة على هذا القسم في القرآن الكريم كثيرة، لكنه قد جاء أغلبها في تصوير مشاهد يوم القيامة وكلها تشير إلى دلالة صدق الحدث وإثباته وأنّه لا بد من وقوعه، لأن هناك مواضع جاء فيها الفعل الماضي لما سيقع في مشهد تصوير يوم القيامة، بل في أمور أخرى كحال الكفار في الدنيا ومجيء يوم القيامة والأمارات على ذلك، وغيرها مما سيأتي بيانه في موضعه، إلّا أن الحصيلة النهائية لتلك الحوادث أنها تقع لا محالة، ولا بُدّ من التصديق بوقوعها شأنها شأن التصديق بوقوع الفعل الماضي الذي لا ينكر وقوعه عاقل (صدام، 1997م، 75).

وفي حين نجد بعض النحاة يجيز عطف الماضي على المضارع أو العكس، نجد آخرين يذهبون إلى تأويل الفعل الماضي في هذه الحالة بالمضارع لينسجم السياق لديهم.

فممن أجاز العطف مطلقاً الرضي في شرح الكافية بقوله: "ويعطف الماضي على المضارع وبالعكس، خلافاً لبعضهم قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٠)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ﴾ (الحج: ٢٥).

وذهب السيوطي إلى تحديد شرط: "إذ يشترط لصحة عطف الماضي على المضارع أو العكس، اتحادهما في التأويل بأن يكون الماضي مستقبل المعنى ليصح عطفه على الماضي" (السيوطي، 1394هـ، ج2، ص293).

والسياق هو الذي يحدد الدلالة المناسبة فقد يدل التحول إلى الماضي على الاستقرار كما قال، وقد يدل على غير ذلك من تحقق الفعل أو التقليل والانقطاع، وغير ذلك مما يدل عليه السياق ويقتضيه، فمن هذه الدلالات التي يقتضيها السياق:

- الدلالة على سرعة تحقق حصول الفعل وحدوثه.

- الدلالة على أن الفعل سابق للمضارع في التحقق والحصول.
- الدلالة على الاختصاص بوصف ثابت.
- إظهار الرغبة في حصول الفعل.
- إظهار الرغبة في انقطاع الفعل وتغييبه.

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة التفت فيها التعبير القرآني من المضارع إلى الماضي سنتعرض إلى بعضها بالشرح والتحليل.

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾ (هود: ٩٨) أخبر الله (ﷻ) في هذه الآية :عن فرعون أنه يأتي يوم القيامة مع قومه المغرقين معه وهو يقدُمُهُم إلى النار (ابن عطية، 1422هـ، ج5، ص14، الطبري، 2008م، ج18، ص96، البيضاوي، 1418هـ ص3، 148)، أي كما كان قدوة لهم في الضلال، كذلك يتقدمهم إلى النار، وهم يتبعونهُ (الزمخشري، 1407هـ، ج3، ص233).

وجاء الالتفات في قوله تعالى: ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ﴾ التفت من المضارع إلى الماضي إذ المتوقع أن يقول (فيوردهم النار) إلّا أنه عدل عن المضارع إلى الماضي، "لأن الماضي يدل على أمر مقطوعٍ به، فكأنه قيل: يقدُمُهُم فيوردُهم النار لا محالة" (الزمخشري، 1407هـ ج3، ص234).

وذكر ابن عطية أن وقوع الفعل الماضي في ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ﴾ موقع المستقبل لوضوح الأمر وارتفاع الإشكال عنه، ووجه الفصاحة من العرب في أنها تضع أحياناً الماضي موضع المستقبل أن الماضي أدل على وقوع الفعل وحصوله (ابن عطية، 1422هـ، ج5، ص14).

وجاء ذكره في الماضي مُبالغةً في تحقيقه كما أشار إلى ذلك أغلب المفسرين (السمين الحلبي، د.ت، 386/6، العمادي، د.ت، 96/18، البيضاوي، 1418هـ ج3، ص148).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾ (النحل: ٨٩) جاءت هذه الآية في سياق تسليةٍ للنبي (ﷺ)، فإن الله (ﷻ) سيبعث في كل أمة من الأمم نبيهم الذي أرسل منهم شاهداً عليهم، وسيكون محمد (ﷺ) شاهداً على قومه (القدومي، د.ت، ص179).

والالتفات حصل في قوله تعالى: ﴿وَجِئۡنَا بِكَ ﴾ إذ جاء بصيغة الماضي بدل المضارع، إذ هو المتوقع ليتوافق مع ما قبله من اللفظ المضارع في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ﴾.

وجاء الماضي مستعملاً في معنى الاستقبال مجازاً، لتحقق وقوعه، فشابه به ما حصل ومضى (ابن عاشور، 1984م، ج15، ص252).

﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ ﴾ (يوم) منصوب بفعل محذوف تقديره: واذكر يوم نبعث في كل امةٍ شهيداً من انفسهم، أي: منهم، ومن انفس قومه كما بُعث النبي (صلى الله عليه وسلم) في العرب من انفسهم، وكملة نبعث تدل على انه يبعثه الله تعالى مع قومه شهيداً لهم او عليهم يوم القيامة. ويذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنه بعث في كل امة شهيداً عليهم يبلغهم في حياته، ويشهد عليهم يوم القيامة ﴿وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ، والجمع بين المضارع والماضي يدل على ان البعث في الدنيا بارسال الرسل مبشرين ومنذرين والنبي (صلى الله عليه وسلم) شهيد على كل الرسل، لان رسالته هي الكاملة، وهي المتضمنة لكل الرسالات الإلهية، فالإسلام دين الله، وهو دين النبيين اجمعين، وهو خاتم الرسالات كلها.

تدل الآية بهذا الجمع بين الماضي والمستقبل على أن الله (ﷻ) يبعث مع كل أمةٍ يوم القيامة شهيداً عليها بأنه أدى الرسالة وشهيداً لمن آمن واتقى، وشاهداً على من كفر وعصى (أبو زهرة، د.ت، ج8، ص4247).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٧)

هذه الآية الكريمة تصور مشهداً من مشاهد يوم الحساب وأهواله، حين تُزالُ تلك الجبال وتُنسف، وتبرز الأرض وتتكسف، ويجمع الله كل الخلائق فلا يغادرُ أحداً، يجمعهم على صعيد واحد حُفاة عُراة.

وحصل الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ ﴾ جاء بصيغة الفعل الماضي والمتوقع مجيئه بصيغة الفعل المضارع؛ لأن الآية تتحدث عن شيء لم يحصل بعد وهو يوم القيامة، وإنما جاء الفعل بصيغة الماضي لإرادة المستقبل أو أن تكون الواو للحال، والجملة في محل نصب، أي: نفعل التسيير حال حشرهم ليُشاهدوا تلك الأهوال (أبو حيان، 1420هـــ، ج7، ص147، السمين الحلبي، د.ت ج7، ص504).

الموضع الرابع : قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (النمل: ٨٧)

موضع الالتفات في قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ﴾ ... ﴿أَتَوْهُ ﴾ بلفظ الماضي الدال على الاستقبال، وكان السياق المتوقع أن يقال: فيفزع ويأتونه، ليتوافق مع ما قبله من المضارع وهو ﴿يُنفَخُ﴾ لكنه عدل إلى الماضي للإشعار بتحقق الفزع وأنّه واقع لا محالة، وقيل غير ذلك كما سيأتي.

قال الطبري: "فإن قال قائل: وكيف قيل ﴿فَفَزِعَ﴾ ، فجعل (فزع) وهي فعل مردود على (ينفع)، وهي يفعل؟ قيل: تفعل العرب ذلك في المواضع التي تصلح فيها (إذا)، لأن (إذا) يصلح معها فعل ويفعل، كقولك: أزورك إذا زرتني، وأزورك إذا تزورني، فإذا وضع مكان (إذا) ﴿يَومَ﴾ أجري مجرى (إذا)" (الطبري، 1420هـ ج2، ص20).

واستعمل الفعل الماضي للإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنّه كائن لا محالة، واقع على أهل السماوات والأرض؛ لدلالة الفعل الماضي على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به (الزمخشري، (د.ت)، ج4، ص476).

وإلى مثل ذلك أشار عددٌ من المفسرين (ابن عطية، 1422هـ، ج6، ص654، الطبراني، 2008م، ج24، ص189)، وإلى أنّه وضع الماضي موضع المستقبل.

الموضع الخامس: قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (لقمان: ١٢)

جاءت هذه الآية في سياق توجيه قرآني ضمني إلى شكر الله (ﷻ) اقتداءً بذلك الرجل الحكيم المختار (لقمان) الذي يعرض قصته وقوله، وإلى جانب ذلك التوجيه الضمني توجيه آخر، فشكر الله (ﷻ) إنّما هو رصيد للشاكر والله (ﷻ) غنيّ عنه (سيد قطب، 1412هـ، ج5، ص2787).

وجاء الالتفات من المضارع في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ﴾ إلى الماضي في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾، "إذ جاءت الآية بصيغة الشرط والشرط يجعل الماضي والمستقبل في معنى واحد، كقول القائل: من دخل داري فهو حر ومن يدخل داري فهو حر، فنقول فيه إشارة إلى معنى وإرشاد إلى أمر، وهو أن الشكر ينبغي أنْ يُكرر، والكفر ينبغي أنْ ينقطع فمن كفر ينبغي أنْ يترك الكفران، ولأن الشكر من الشاكر، لا يقع بكماله، بل أبداً يكون منه شيء من العدم يريد الشاكر إدخاله في الوجود" (الرازي، ج25، ص119).

وأما فاضل السامرائي فيرى أن سر مجيء الفعل ﴿يَشۡكُرۡ﴾ بصيغة المصارع، و﴿كَفَرَ﴾ بصيغة الماضي، "لأن الشكر يتجدد ويكثر وليس كذلك الكفر، فإن الكفر يحصل ابتداء ويبقى صاحبه عليه، إلّا إذا شاء الله (ﷻ) فالشكر عمل يومي متجدد بخلاف الكفر الذي هو الاعتقاد" (السامرائي، 2002م، ص6).

المبحث الثالث

الالتفات في الأمر

وهذا مبحث لطيف من مباحث الالتفات يتجلى فيه جمال النظم .

أولا: الالتفات من المضارع إلى الأمر:

وهنا نجد السياق في صيغة الفعل المضارع الدال على الحال والاستقبال ثم يلتفت السياق ويتحول إلى الأمر، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (هود: ٥٣-٥٤)

"وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن قول قوم هود: أنهم قالوا له، إذ نصح لهم ودعاهم إلى توحيد الله وتصديقه، وخلق الأوثان والبراءة منها: لا نترك عبادة آلهتنا، وما نقول إلّا أن الذي حملك على ذمها والنهي عن عبادتها، أنه أصابك منها خبلٌ من جنون. فقال هود لهم: إني أشهد الله على نفسي وأشهدكم أيضاً أيها القوم إني بريء مما تشركون" (الطبري، 1420هـ، ج15، ص361).

موضع الالتفات هو في قوله تعالى: ﴿وَٱشۡهَدُوٓاْ﴾ بصيغة فعل الأمر وكان السياق يقتضي أنْ يقال (وأشهدكم) ليتوافق مع ما قبله من فعل المضارع وهو ﴿أُشۡهِدُ﴾ . لكنه عدل إلى الأمر ليدل على التهاون بينهم وقلة المبالاة بهم.

"لأن إشهاد الله (ﷻ) على البراءة من الشرك إشهادٌ صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشدة معاقده، وأما إشهادهم فما هو إلّا تهاون بدينهم، ودلالةٌ على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به عن اللفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة، كما يقول الرجل لمن ... الثرى بينه وبينه، أشهد على أني لا أحبك؛ تهكما به واستهانةً بحاله" (الزمخشري، د.ت، ج3، ص334).

وذهب القرطبي إلى أنه عدل إلى هذا الأسلوب لتقريرهم ببراءته من عبادة الأصنام التي يعبدونها إذ قال: "أي: وأشهدكم لا إنهم أهل شهادة، لكنه نهاية للتقرير، أي: لتعرفوا أني بريء مما تشركون أي: من عبادة الأصنام التي تعبدونها" (القرطبي، 1384هـ، ج9، ص52).

وذكر آخرون أنّ إشهادهم على هود ما هو إلّا استهانة بهم إذْ قال: "أجاب بهم عن مقالتهم الحمقاء بأن أشهد الله (ﷻ) على براءته من آلهتهم وفراغه عن أضرارهم تأكيداً لذلك وتثبيتاً له، وأمرهم بأن يشهدوا له، وأمرهم بأن يشهدوا عليه استهانة بهم" (البيضاوي، 1418هـ، ج3، ص240) .

ثانيًا: الالتفات من الماضي إلى الأمر:

يعد الانتقال من الفعل الماضي إلى فعل الأمر مما لم يؤلف في الاستعمال العربي لهذا لم يتفق المفسرون على وجود هذا الالتفات في مثل هذا الانتقال في الأفعال، فغالباً ما يقدرون (القول) قبل فعل الأمر، ويجعلونه معطوفاً على أي فعل سبقه يماثله في الصيغة (صدام حسين، 1997م، 87).

ومثال الانتقال من الماضي إلى الأمر هو قوله تعالى﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٩) .

والقسط هو العدل وهو الوسط من كل أمر المتجافي عن طريق الإفراط والتفريط وأقيموا وجوهكم وتوجهوا إلى عبادة الله (ﷻ) مستقيمين غير عادلين إلى غيرها، وأقيموها نحو القبلة (البيضاوي، 1418هـ، ج3، ص11).

موضع الالتفات في قوله تعالى﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ ، بصيغة الأمر، وكان السياق أنْ يقال: وبإقامة وجوهكم.

ولكنه عدل عن الماضي إلى الأمر، أشار المفسرون إلى العطف هنا، وتناول بعضهم كيفية عطف الأمر على الخبر.

" ﴿وَأَقِيمُواْ﴾ : فيه وجهان: أظهرهما: أنه معطوف على الأمر المقدر، أي: الذي ينحل إليه المصدر وهو ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾ وذلك أنّ القسط مصدر فهو ينحل لحرف مصدري وفعل، فالتقدير: قُل: أمر ربي بأن أقسطوا وأقيموا، وكما أنّ المصدر ينحل لـــ(أنْ) والفعل الماضي نحو (ابن الاثير، 1420هـ، ج2، ص12)، (عجبت من قيام زيد وخرج، أي: مِن أنْ قام وخرج، لـــ(أنْ) والفعل المضارع، نحو:

للبس عباءة وتقر عيني أحب إليّ من لبس الشفوف (ميسون بنت بحدل)

أي: لأن ألبس عباءة وتقر عيني، كذلك ينحل لـــ(أنْ وفعل الأمر)، ألا ترى أنّ (أنْ) توصل بفعل الأمر، نحو كتبت إليه بأن قم، كما توصل بالماضي والمضارع بخلاف (ما) المصدرية، فإنها توصل بالمضارع فقط، وبخلاف (كي) إذا لم تكن حرفاً وكانت مصدرية، فإنها توصل بالمضارع فقط، وبخلاف (كي) إذا لم تكن حرفاً وكانت مصدرية، فإنها توصل بالمضارع فقط، ولما أشكل هذا التخريج جعل الزمخشري ﴿وَأَقِيمُواْ﴾ ، على تقدير (وقل) فقال: ﴿وَأَقِيمُواْ﴾ معطوفاً معمولاً على ﴿أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ﴾ ، فيكون معمولاً للفعل الملفوظ به أولاً، وقدرها ليبين أنها معطوفة عليها، وعلى ما خرجناه نحن يكون في خبر معمول ﴿أَمَرَ﴾ وقيل: وأقيموا معطوفاً على أمر محذوف تقديره وأقبلوا وأقيموا" (السمين الحلبي، د.ت، ج5، ص195، أبو حيان، 1420هـ، ج5، ص35).

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث نستطيع أن نلخص جملة من النتائج المتوصل إليها نجملها فيما يأتي:

- إن ظاهرة الالتفات كثيرة الورود في القرآن الكريم وهي بارزةٌ لافتةٌ للنظر بدلالتها العميقة، مما، تستدعي الوقوف عليها ودراستها والبحث فيها.
- يكشف البحث ان الزمن النحوي للافعال مفهوم ديناميكي يحققه السياق وظروف الخطاب وليس مجرد صيغة جامدة تدل على الحدث الفعلي النحوي المعروف في علم النحو .
- إن الالتفات في اللغة لا يكاد يخرج عن معنى التحول من جهةٍ إلى أخرى، ومنه انتقل هذا المفهوم إلى الاصطلاح.
- انتبه علماء اللغة المتقدمون لظاهرة الالتفات وكان من أوائلهم أبو عبيدة في مجاز القرآن، والفراء في معاني القرآن، لكنهم لم يصطلحوا عليه، حتى عرّفه الجرجاني ووضع حد الالتفات في الضمائر.
- أُلحق الالتفات في زمن الفعل بالالتفات بالضمائر وعُدّ نوع آخر للالتفات وذكر ذلك السيوطي في مواضع كثيرة في تفسيره للنصوص القرآنية.
- وُظّف الالتفات في الأفعال في سياق التعبير القرآني ليوافق ببنيته المتحولة الوقائع المحسوسة في مشاهد الحياة، فبرز من خلال ذلك موافقة المقال لمقتضى الحال.
- التفت النص القرآني من الفعل الماضي الى المضارع للدلة لاستحضار الفعل وتصويره في النفوس ،والدلالة على الاستمرار في القيام به وتكرار حدوثه فجاء الالتفات مناسبًا في موضعه.
- التفت النص القرآني من المضارع إلى الماضي للتأكيد على حدوث الفعل وسرعة تحققه كأنه وقع .
- التفت النص القرآني من فعل الماضي والمضارع إلى الأمر لاستحضار المخاطب وتقوية الخطاب .

والحمد لله في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر

ابن الأثير: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الكاتب (ت 637ه)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420ه.

ابن عطية: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن الأندلسي (ت 542ه)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422ه.

ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ)، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت 711ه)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414ه.

ابن هشام: جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف (ت 761ه)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط 6، 1985م.

أبو حيان الاندلسي (ت 754هـ): بعناية صدقي محمد جميل العطار، زهير صعيد، عرفان العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1420هـ–2000م.

أبو زهرة: محمد بن احمد بن مصطفى بن احمد (ت1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

أبو عبيدة: معمر بن المثنى البصري (ت 209ه)، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، 1381ه.

الاستراباذي: رشي الدين محمد بن الحسن (ت686هـ)، شرح الرصين على الكافية، تح: أ.د. يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ليبيا، د.ط، 1975هـ.

البغدادي: احمد بن موسى بن العباس التميمي أبو بكر (ت 324هـ)، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ.

البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر محمد الشيرازي اليضاوي (ت 685هـ)، انوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبدالرحمن مرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

التهاوني: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي (ت بعد 1158ه)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 1996م.

الجرجاني: التعريفات، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.

الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت 597ه)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1422ه.

الجوهري: إسماعيل بن حمّاد (ت 393ه)، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1407ه-1987م.

خليفات: عدنان عبدالكريم، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وجهود أشهر اللغوين والنحاة في دراسته، بحث منشور على الشبكة.

الرازي: أبو عبدالله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن (ت 606ه)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420ه.

الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538ه)، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط 2، (د.ت).

الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538ه)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407ه.

السامرائي: فاضل صالح، أسرار البيان في التعبير القرآني، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية، وأصله محاضرة ألقاها الدكتور ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 2002م.

السّمين الحلبي: أحمد بن يوسف (ت 756ه)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، (د.ط)، (د.ت).

سيد قطب: إبراهيم حسين الشاربي (ت 1385ه)، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط 17، 1412ه.

السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1394هـ-1974م.

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد اليمني (ت 1250ه)، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، بيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق، ط 1، 1414ه.

الصبان: أبو العرفان محمد بن علي الشافعي (ت 1206ه)، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1417ه-1997م.

صدام حسين: علوان الدليمي، الالتفات في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بإشراف الدكتور محمد ضاري حمادي، بغداد، 1997م.

الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت 360ه)، التفسير الكبير المعروف بـ(تفسير القرآن العظيم)، تحقيق هشام عبدالكريم البدراني الموصلي، دار الكتاب الثقافي، إربد، ط 1، 2008م.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت 310ه)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1420ه–2000م.

عتيق: عبدالعزيز (ت1396ه)، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

فاضل السامرائي، من اسرار البيان القرآني، دار الفكر للنشر والتوزيع، د.ط، 2015م.

الفرّاء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن الديلمي (ت 207ه)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، عبدالفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط 1، (د.ت).

الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تح: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005.

القدومي: سامي وديع عبد الفتاح شحادة، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، دار الوضاح، الأردن، عمان، (د.ط)، (د.ت).

القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 671ه)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1384ه–1964م.

المدهش: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي محمد الجوزي (ت597ه) تح: د.مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ.

مطلوب: أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (د.ط)، 1403ه–1983م.

النحاس: أبو جعفر احمد بن محمد (ت 338هـ)، معاني القرآن، تح: محمد علي الصابوني، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409ه.

الهتاري: عبدالله، تحولات الأفعال في السياق القرآني، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية، ملتقى أهل التفسير، https://al-maktaba.org/book/31871/12315، 2020م.